سـورة فصلت

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَـٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَـٰمِلُونَ ۝٥ ﴾

قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ﴾ قال الزجاج: ﴿تَنزِيلٌ﴾ رفع بالابتداء وخبره ﴿كِتَـٰبٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ وهذا قول البصريين. وقال الفراء: يجوز أن يكون رفعه على إضمار هذا. ويجوز أن يقال: ﴿كِتَـٰبٌ﴾ بدل من قوله: ﴿تَنزِيلٌ﴾. وقيل: نعت لقوله: ﴿تَنزِيلٌ﴾. وقيل: ﴿حمٓ﴾ أي هذه ﴿حمٓ﴾ كما تقول: باب كذا، أي: هو باب كذا فـ ﴿حمٓ﴾ خبر ابتداء مضمر أي: هو ﴿حمٓ﴾، وقوله: ﴿تَنزِيلٌ﴾ مبتدأ آخر، وقوله: ﴿كِتَـٰبٌ﴾ خبره. ﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ أي بينت وفسرت. قال قتادة: ببيان حلاله من حرامه، وطاعته من معصيته(١). الحسن: بالوعد والوعيد(٢). سفيان: بالثواب والعقاب(٣). وقرئ « فَصلَت» أي: فرقت بين الحق والباطل، أو فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها؛ من قولك: فصل، أي: تباعد من البلد. ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ في نصبه وجوه؛ قال الأخفش: هو نصب على المدح. وقيل: على إضمار فعل؛ أي اذكر ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾. وقيل: على إعادة الفعل؛ أي: فصلنا ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾. وقيل: على الحال، أي: ﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ في حال كونه ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾. وقيل: لما شغل ﴿فُصِّلَتْ﴾ بالآيات حتى صارت بمنزلة الفاعل انتصب ﴿قُرْآنًا﴾ لوقوع البيان عليه. وقيل: على القطع. ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ قال الضحاك: أي إن القرآن منزل من عند الله. وقال مجاهد: أي يعلمون أنه إله واحد في التوراة والإنجيل. وقيل: يعلمون العربية فيعجزون عن مثله ولو كان غير عربي لما علموه.

قلت: هذا أصح، والسورة نزلت تقريعا وتوبيخا لقريش في إعجاز القرآن.

قوله تعالى: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ حالان من الآيات والعامل فيه ﴿فُصِّلَتْ﴾. وقيل: هما نعتان للقرآن ﴿بَشِيرًا﴾ لأولياء الله ﴿نَذِيرًا﴾ لأعدائه. وقرئ « بشيرٌ ونذيرٌ » صفة للكتاب. أو خبر مبتدأ محذوف ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ يعني أهل مكة ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سماعا ينتفعون به. وروي أن الريان بن حرملة قال: قال الملأ من قريش وأبو جهل: قد التبس علينا أمر محمد، فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره؛ فقال عتبة بن ربيعة: والله لقد سمعت الكهانة والشعر والسحر، وعلمت من ذلك علما لا يخفى علي إن كان كذلك. فقالوا: إيته فحدثه. فأتى النبي ﷺ فقال له: يا محمد أنت خير أم قصي بن كلاب؟ أنت خير أم هاشم؟ أنت خير أم عبد المطلب؟ أنت

(١ ـ ٣) انظر: فتح القدير (٦/ ٣٤٠) للشوكاني.

خيـر أم عبد الله؟ فـبم تشتم آلهتنا، وتضلل آباءنا، وتسـفه أحلامنا، وتذم ديننـا؟ فإن كنت إنما تريد الرياسة عـقدنا إليك ألويتنا فكنت رئيسنا مـا بقيت، وإن كنت تريد الباءة زوجناك عشـر نساء من أي بنات قريش شـئت، وإن كنت تريد المال جمعنا لك ما تسـتغني به أنت وعقبك مـن بعدك، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا من الجن قد غلب عليك بذلنا لك أموالنا في طلب ما تتداوى به أو نغلب فيك. والنبي ﷺ ساكت، فلما فرغ قال: «قد فـرغت يا أبا الوليد»؟ قال: نعم. فقال: «يا ابن أخي اسمع» قال: أسمع. قال: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ إلى قوله ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣] فوثب عتـبة ووضع يده على فم النبي ﷺ، وناشده اللـه والرحم ليسكتن، ورجع إلى أهله ولم يخـرج إلى قريش فجـاءه أبو جهل؛ فقال: أصبـوت إلى محمد؟ أم أعجبك طعامـه؟ فغضب عتبة وأقسم ألا يكلم مـحمدا أبدا، ثم قال: والله لقد تعلمون أني من أكثر قريش مالا، ولكني لما قـصصت عليه القصة أجابني بشيء والله ما هو بشعـر ولا كهانة ولا سحـر؛ ثم تلا عليهم ما سـمع منه إلى قوله: ﴿صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣] وأمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب، فوالله لقد خفت أن ينزل بكم العـذاب؛ يعني الصاعقة[1]. وقد روى هذا الخبر أبو بكر الأنباري في كتاب الرد له عن محمـد بن كعب القرظي، وأن النبي ﷺ قرأ: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ﴾ حتى انتهـى إلى السجدة فسجـد وعتبة مـصغ يستمع، قد اعتـمد على يديه من وراء ظهره. فلمـا قطع رسول الله ﷺ القراءة قال له: «يا أبا الوليـد قد سمعت الذي قـرأت عليك فأنت وذاك» فانصرف عتبة إلى قريش في ناديها فقـالوا: والله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي مضى به من عندكم. ثم قالوا: ما وراءك أبـا الوليد؟ قال: والله لقد سمعـت كلاما من محمد مـا سمعت مثله قط، والله مـا هو بالشعر ولا بالكهـانة، فأطيعـوني في هذه وأنزلوها بي؛ خلوا محمـدا وشأنه واعتزلوه، فوالله ليكونن لما سمعت من كلامه نبأ، فان أصابته العرب كفيتموه بأيدي غيركم، وإن كان ملكا أو نبيا كنتم أسعد الناس به؛ لأن ملكه ملككم، وشرفه شرفكم. فـقالوا: هيهات سحرك محمد يا أبا الوليد. وقال: هذا رأيي لكم فاصنعوا ما شئتم[2].

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ الأكنة: جمع كنـان وهـو الغطاء. وقـد مضـى في «البقرة»[3]. قال مـجاهد: الكنان للقلب كـالجنة للنبل[4]. ﴿وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ أي: صمم؛ فكلامـك لا يدخل أسـماعنا، وقلوبنا مـستـورة من فهـمه. ﴿وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ أي: خلاف في الدين، لأنهم يعبدون الأصنام وهو يعبد الله عز وجل. قال معناه الفراء وغيره. وقيل: ستر مانع عن الإجابة. وقيل: إن

(١) ضعيف: الحاكم (٢/ ٢٧٨) في المستدرك، والدارمي (١/ ٢٤) في سننه، والهيثمي (٦/ ٢٠) في المجمع وعزاه لأبي يعلى.
قلت: وهو موصول من طريق الذَّيال بن حرملة، عن جابر، لكن في إسنادهم جميعًا: الأجلح الكندي وقد ضعف بعض الشيء ـ كما قال ابن كثير (٧/ ١٢٣) في التفسير، وكذا قال الهيثمي (٦/ ٢٠) في المجمع.
قلت: لكن الخبر مشهور عند أهل السير.
(٢) مرسل: وانظر السابق، وتفسير البغوي (٧/ ١٦٨). (٣) عند الآية (٨٨).
(٤) صحيح إليه: الطبري (٢٤/ ٩٠) في تفسيره.

أبا جهل استغشى على رأسه ثوبا وقال: يا محمـد بيننا وبينك حجاب. استهزاء منه. حكاه النقاش وذكره القشيري. فـالحجاب هنا الثوب. ﴿فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ أي اعمل في هلاكنا فإنا عـاملون في هلاكك؛ قاله الكلبي. وقال مقاتل: اعمل لإلهك الذي أرسلك، فإنا نعمل لآلهتنا التي نعبدها. وقيل: اعمل بما يقتضيه دينك، فإنا عاملون بما يقتضيه ديننا. ويحتمل خامسا: فاعمل لآخرتك فإنا نعمل لدنيانا؛ ذكره الماوردي.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝٧ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أي لست بملك بل أنا من بني آدم. قال الحسن: علمه الله تعالى التواضع[1]. ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ أي: من السماء على أيدي الملائكة ﴿أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ فآمنوا به ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ أي: وجهوا وجوهكم بالدعاء له والمسألة إليه، كما يقول الرجل: استقم إلى منزلك؛ أي: لا تعرج على شيء غير القصد إلى منزلك. ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ أي: من شرككم. ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ قال ابن عباس: الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله [2] وهي زكاة الأنفس. وقال قتادة: لا يقرون بالـزكاة أنها واجبة [3]. وقال الضحاك ومقاتل: لا يتـصدقون ولا ينفقون في الطاعة [4]. قرعهم بالشح الذي يأنف مـنه الفضلاء، وفيه دلالة على أن الكافـر يعذب بكفر مع منع وجـوب الزكاة عليـه. وقال الفـراء وغيـره: كان المشـركون يـنفقـون النفقـات، ويسقـون الحجيج ويطعـمونهم، فـحرمـوا ذلك على من آمن بمحمـد ﷺ، فنزلت فيـهم هذه الآية. ﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ فلهذا لا ينفقون في الطاعة ولا يستقيمـون ولا يستغفرون. الزمخشري: فإن قلت: لم خص من بين أوصاف المشركين منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة ؟

قلت: لأن أحب شيء إلى الإنسان ماله، وهو شـقيق روحه، فإذا بذله في سـبيل الله، فذلك أقوى دليل على ثباتـه واستقامته وصـدق نيته ونصوع طويتـه ألا ترى إلى قوله عز وجل: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٦٥] أي يثبتون أنفسهم، ويدلون على ثباتها بإنفاق الأموال، وما خدع المؤلفة قلوبهم إلا بلمظ [5] من الدنيا، فقويت عصبتهم ولانت شكيمتهم؛ وأهل الردة بعد رسول الله ﷺ ما تظاهروا إلا بمنع الزكـاة، فنصبت لهم الحروب وجوهـدوا. وفيه بعث للمؤمنين على أداء الزكاة، وتخويف شديد من منعـها، حيث جعل المنع من أوصاف المشركين، وقرن بالكفر بالآخرة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قال ابن عباس: غير مقطوع[6]؛

---

(١) ذكره البغوي (٧/ ١٦٤) في تفسيره بغير إسناد .

(٢) **منقطع** : بين علي بن أبي طلحة وابن عباس ورواه الطبري (٢٤/ ٩١) في تفسيره .

(٣) **صحيح إلى قتادة** : الطبري (٢٤/ ٩١). في تفسيره (٤) البغوي (٧/ ١٦٤) بغير إسناد .

(٥) **لمظة** : المراد بها الدنيا ، أو اليسير منها اللسان« لمظ ».

(٦) **منقطع** : بين علي بن أبي طلحة وابن عباس. الطبري (٢٤/ ٩٢) في تفسيره ،وفيه: غير منقوص .

مأخوذ من مننت الحبل: إذا قطعته؛ ومنه قول ذي الإصبع:

إنِّي لَعَمْرُك ما بابي بِذِي غَلَقٍ على الصَّدِيقِ ولا خَيْرِي بِممنونِ

وقال آخر:

فَتَرَى خَلْفَها مِنَ الرَّجْعِ والْوَقْـ ـعِ مَنِينا كأَنَّهُ أَهْبَاء

يعني بالمنين: الغبار المنقطع الضعيف. وعن ابن عباس أيضا ومقاتل: غير منقوص. ومنه المنون؛ لأنها تنقص منه الإنسان، أي: قوته؛ وقال قطرب؛ وأنشد قول زهير:

فَضْل الجِياد على الخيلِ البِطاء فَلاَ يُعْطِي بِذلك مَمْنُوناً ولا نَزِقَا

قال الجوهري: والمن القطع، ويقال: النقص؛ ومنه قوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾. وقال لبيد:

غُبْسٌ كَوَاسِبُ لا يُمنُّ طَعَامُها

وقال مجاهد: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾غير محسوب(٢). وقيل: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ عليهم به. قال السدي: نزلت في الزمني والمرضى والهرمى إذا ضعفوا عن الطاعة كتب لهم من الأجر كأصح ما كانوا يعملون فيه(٣).

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۝ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ﴾ ﴿أَئِنَّكُمْ﴾بهمزتين الثانية بين بين و« أائنكم»بألف بين همزتين وهو استفهام معناه التوبيخ. أمره بتوبيخهم والتعجب من فعلهم، أي: لم تكفرون بالله وهو خالق السموات والأرض؟ ! ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ الأحد والاثنين ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا﴾ أي: أضدادا وشركاء ﴿ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ أي: في الأرض ﴿رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا﴾ يعني الجبال. وقال وهب: لما خلق الله الأرض مادت على وجه الماء؛ فقال لجبريل: ثبتها يا جبريل. فنزل فأمسكها فغلبته الرياح، قال: يا رب أنت أعلم لقد غلبت فيها فثبتها بالجبال وأرساها ﴿وَبَارَكَ فِيهَا﴾ بما خلق فيها من المنافع(٤). قال السدي: أنبت فيها شجرها (٥). ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ قال السدي والحسن: أرزاق أهلها ومصالحهم(٦). وقال قتادة ومجاهد: خلق فيها أنهارها وأشجارها ودوابها في يوم الثلاثاء

(١) انظر: الطبري(٢٤/ ٩٢) في تفسيره .
(٢) صحيح إليه : الطبري(٢٤/ ٩٢) في تفسيره .
(٣) معضل لا يصح .
(٤) معضل : ووهب من كبار رواة الإسرائيليات ، ومثل هذا يحتاج إلى وحي وأين هو هنا ؟ لا جرم أن الأمر هنا مردود على صاحبه .
(٥، ٦) صحيح إليهما : الطبري (٢٤/ ٩٤) في تفسيره .

والأربعاء(١). وقال عكرمة والضحاك: معنى ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ أي: أرزاق أهلها وما يصلح لمعايشهم من التجارات والأشجار والمنافع في كل بلدة ما لم يجعله في الأخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة والأسفار من بلد إلى بلد(٢). قال عكرمة: حتى إنه في بعض البلاد ليتبايعون الذهب بالملح مثلا بمثل(٣). وقال مجاهد والضحاك: السابري من سابور، والطيالسة من الري، والحبر اليمانية من اليمن(٤). ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾يعني في تتمة أربعة أيام. ومثاله قول القائل: خرجت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام، وإلى الكوفة في خمسة عشر يوما؛ أي في تتمة خمسة عشر يوما. قال معناه ابن الأنباري وغيره. ﴿سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ قال الحسن: المعنى في أربعة أيام مستوية تامة(٥). الفراء: في الكلام تقديم وتأخير، والمعنى: وقدر فيها أقواتها سواء للمحتاجين. واختاره الطبري. وقرأ الحسن، البصري ويعقوب الحضرمي ﴿سَوَاءٍ لِلسَّائِلِينَ﴾ بالجر(٦) وعن ابن القعقاع: «سواءٌ» بالرفع(٧)؛ فالنصب على المصدر و﴿سَوَاءً﴾ بمعنى استواء أي استوت استواء. وقيل: على الحال والقطع؛ والجر على النعت لأيام أو لأربعة أي ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ مستوية تامة. والرفع على الابتداء والخبر ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ أو على تقدير هذه ﴿سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾. وقال أهل المعاني: معنى ﴿سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ولغير السائلين؛ أي خلق الأرض وما فيها لمن سأل ولمن لم يسأل، ويعطي من سأل ومن لا يسأل.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾أي: عمد إلى خلقها وقصد لتسويتها. والاستواء من صفة الأفعال على أكثر الأقوال؛ يدل عليه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾(٨) [البقرة: ٢٩] وقد مضى القول هناك. وروى أبو صالح عن ابن عباس في قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ يعني صعد أمره إلى السماء(٩)؛ وقاله الحسن. ومن قال: إنه صفة ذاتية زائدة قال: استوى في الأزل بصفاته(١٠). و﴿ثُمَّ﴾ ترجع إلى نقل السماء من صفة الدخان إلى حالة الكثافة. وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس؛ على ما مضى في « البقرة » عن ابن مسعود(١١) وغيره. ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ أي جيئا بما خلقت فيكما من المنافع والمصالح وأخرجاها لخلقي. قال ابن عباس: قال الله تعالى للسماء: أطلعي شمسك وقمرك وكواكبك، واجري رياحك وسحابك، وقال للأرض: شقي أنهارك وأخرجي شجرك وثمارك طائعتين أو كارهتين(١٢) ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ في الكلام حذف أي أتينا أمرك ﴿طَائِعِينَ﴾. وقيل: معنى هذا الأمر التسخير؛ أي: كونا فكانتا كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] فعلى هذا قال ذلك قبل خلقهما. وعلى القول الأول قال ذلك بعد خلقهما. وهو قول الجمهور. وفي قوله تعالى لهما وجهان: أحدهما أنه

---

(١) وهو قول السدي أيضًا كما عند الطبري (٢٤/ ٩٦) في تفسيره، وقوله: الثلاثاء والأربعاء، وهذا لا يصح وقد سبق.

(٢ ـ ٥) ذكرها الطبري (٢٤/ ٩٥) في تفسيره بأسانيد فيها نظر، وهو صحيح إلى عكرمة، والله أعلم.

(٦، ٧) قراءتان متواترتان: تقريب النشر (ص ١٧٠).

(٨، ٩) ضعيفان: سبقا.

(١٠) وعقيدتنا: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب.

(١١) حسن: سبق تخريجه.

(١٢) ضعيف: فيه يحيى بن يمان، ضعيف، وكذلك أبو هشام الرفاعي، وفيه تدليس ابن جريج، ورواه الطبري (٢٤/ ٩٧) في تفسيره.

قول تكلم به[١]. الثاني أنها قـدرة منه ظهرت لهما فقام مـقام الكلام في بلوغ المراد؛ ذكره الماوردي. ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ فيه أيضا وجهـان: أحدهما :أنه ظهور الطاعة منهما حيث انقادا وأجـابا فقام مقام قولهما، ومنه قول الراجز:

امتَلأَ الْحوضُ وقال قَطْني مَهْلاً رُوَيْدا قَدْ مَلأْتُ بَطْني

يعني ظهر ذلك فيه. وقال أكـثر أهل العلم: بل خلق الله فيهما الكلام فتكلمـتا كما أراد تعالى. قال أبو نصر السكسكي: فنطق من الأرض موضع الكعبة، ونطق من السـماء ما بحيالها، فوضع الله تعالى فـيه حرمـه. وقال: ﴿طَائِعِينَ﴾ولم يقل : طائعتين على اللفظ ولا طائعـات على المعنى؛ لأنهما سمـوات وأرضون، لأنه أخبر عنهـما وعمن فـيهما، وقـيل: لما وصفهن بالقـول والإجابة وذلك من صفات من يعقل أجراهمـا في الكناية مجرى من يعقل، ومثله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] وقد تقدم. وفي حديث: إن موسى عليه الصـلاة والسلام قال: يا رب لو أن السموات والأرض حين قلت لهما: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾عصياك ما كنت صانعا بهما؟ قـال كنت آمر دابة من دوابي فتبتلعهما. قال: يا رب وأين تلك الدابة؟ قـال: في مـرج من مروجي. قـال: يا رب وأين ذلك المرج؟ قـال علم من علمي. ذكره الثعلبي[٢]. وقرأ ابن عبـاس ومجاهد وسعيـد بن جبير وعكرمة « آتـيا » بالمد والفتح. وكذلك قوله: ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ على معنى أعطيا الطاعـة من أنفسكما ﴿قَالَتَا﴾ أعطينا ﴿طَائِعِينَ﴾فحذف المفعولين جميـعا. ويجوز وهو أحسن أن يكون ﴿أَتَيْنَا﴾فاعلنا فحذف مفـعول واحد. ومن قرأ «آتينا» فالمعنى جئنا بما فينا؛ على ما تقدم بيانه في غير ما موضع والحمد لله.

قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾أي أكملهن وفرغ منهن. وقيل: أحكمهن كما قال:

وعَلَيْهِما مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا دَاوُدُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَّعُ

﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ سوى الأربعة الأيام التي خلق فيهـا الأرض، فوقع خلق السموات والأرض في ستة أيام؛كما قـال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤] على ما تقدم في «الأعراف» بيانه. قال مجاهد: ويوم من الستة الأيام كألف سنة مما تعدون[٣]. وعن عبد الله بن سلام قال: خلق الله الأرض في يومين، وقدر فـيها أقواتها في يومين، وخلق السـموات في يومين؛ خلق الأرض في يوم الأحد والاثنين، وقدر فيها أقواتهـا يوم الثلاثاء ويوم الأربـعاء، وخلـق السموات في يوم الخميس ويوم الجـمعـة، وأخـر ساعـة في يوم الجمـعـة خـلق الله آدم في عـجـل، وهـي التي تقـوم فـيهـا الساعـة، وما خـلق الله من دابة إلا وهـي تفـزع من يـوم الجمعة إلا الإنـس والجـن[٤]. وعلى هذا أهـل التفسير؛ إلا ما رواه مسلـم من حديـث أبي هـريـرة قال: أخـذ رسـول الله ﷺ بيـدي، فقال: «خلـق الله التـربـة يـوم السبت. . .» الحـديـث[٥]،وقـد تكلـمنـا على إسنـاده في أول سـورة

(١) وهو كلام أمر به سبحانه السماء والأرض ، كما هو واضح في سياق الآيات .
(٢) الخبر من الإسرائيليات ولا علم لنا به .
(٣) لم أجده مسندًا .
(٤) ضعيف : أبو الشيخ (٤/ ١٣٦٦) في العظمة، وفي السند : أبو معشر وهو نجيح السندي ضعيف .
(٥) صحيح : وقد سبق .

«الأنعام»[١]. ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ قال قتادة والسدي: خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وأفلاكها، وخلق في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد والثلوج[٢]. وهو قول ابن عباس؛ قال: ولله في كل سماء بيت تحج إليه وتطوف به الملائكة بحذاء الكعبة، والذي في السماء الدنيا هو البيت المعمور[٣]. وقيل: أوحى الله في كل سماء؛ أي أوحى فيها ما أراده وما أمر به فيها. والإيحاء قد يكون أمرا؛ لقوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥] وقوله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ [المائدة: ١١١] أي: أمرتهم وهو أمر تكوين.

قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ أي بكواكب تضيء وقيل: إن في كل سماء كواكب تضيء. وقيل: بل الكواكب مختصة بالسماء الدنيا. ﴿وَحِفْظًا﴾ أي: وحفظناها حفظا؛ أي من الشياطين الذين يسترقون السمع. وهذا الحفظ بالكواكب التي ترجم بها الشياطين على ما تقدم في «الحجر»[٤] بيانه. وظاهر هذه الآية يدل على أن الأرض خلقت قبل السماء. وقال في آية أخرى: ﴿أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧] ثم قال: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠] وهذا يدل على خلق السماء أولا. وقال قوم: خلقت الأرض قبل السماء؛ فأما قوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠] فالدحو غير الخلق، فالله خلق الأرض ثم خلق السموات، ثم دحا الأرض، أي: مدها وبسطها؛ قاله ابن عباس. وقد مضى هذا المعنى مجودا في «البقرة»[٥] والحمد لله. ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ۝١٤ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ۝١٥ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ۝١٦﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ يعني كفار قريش عما تدعوهم إليه يا محمد من الإيمان. ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ أي: خوفتكم هلاكا مثل هلاك عاد وثمود. ﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ يعني من أرسل إليهم وإلى من قبلهم ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ موضع «أن» نصب بإسقاط الخافض أي بـ ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾﴾قالوا: لو شاء ربنا لأنزل ملائكة بدل الرسل ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ من الإنذار والتبشير. قيل: هذا استهزاء منهم. وقيل: إقرار منهم بإرسالهم ثم بعده جحود وعناد.

---

(١) صحيح: الطبري (٢٤/ ٩٨) في تفسيره.

(٢، ٣) ضعيف: من قول ابن عباس، وقد سبق.

(٤) عند الآية (١٧) من سورة الحجر.

(٥) عند الآية (٢٩).

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ استكبروا على عباد الله هود ومن آمن معه ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ اغتروا بأجسامهم حين تهددهم بالعذاب، وقالوا: نحن نقدر على دفع العذاب عن أنفسنا بفضل قوتنا. وذلك أنهم كانوا ذوي أجسام طوال وخلق عظيم. وقد مضى في «الأعراف» عن ابن عباس: أن أطولهم كان مائة ذراع وأقصرهم كان ستين ذراعا [(١)]. فقال الله تعالى ردا عليهم: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾وقدرة، وإنما يقدر العبد بإقدار الله؛ فالله أقدر إذا. ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾أي: بمعجزاتنا يكفرون.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾هذا تفسير الصاعقة التي أرسلها عليهم، أي: ريحا باردة شديدة البرد وشديدة الصوت والهبوب. ويقال: أصلها صرر من الصر وهو البرد فأبدلوا مكان الراء الوسطى فاء الفعل؛ كقولهم: كبكبوا ،أصله كببوا، وتجفجف الثوب أصله تجفف. أبو عبيدة: معنى صرصر: شديدة عاصفة. عكرمة وسعيد بن جبير: شديد البرد. وأنشد قطرب قول الحطيئة:

المُطْعِمون إذا هَبّتْ بصَرْصَرَةٍ والحاملون إذا استُودُوا على النَّاسِ

استودوا: إذا سئلوا الدية. مجاهد: الشديدة السموم[(٢)]. وروى معمر عن قتادة قال: باردة[(٣)]. وقاله عطاء؛ لأن ﴿صرصرا﴾ مأخوذ من صر[(٤)] والصر في كلام العرب البرد كما قال:

لها عُذَرٌ كقرون النسا ءِ رُكِّبْنَ في يومِ ريحٍ وصِرْ

وقال السدي: الشديدة الصوت[(٥)]. ومنه صر القلم والباب يصر صريرا أي: صوت. ويقال: درهم صري وصري للذي له صوت إذا نقد. قال ابن السكيت: صرصر يجوز أن يكون من الصر وهو البرد، ويجوز أن يكون من صرير الباب، ومن الصرة وهي الصيحة. ومنه ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ﴾ [الذاريات: ٢٩]. وصرصر اسم نهر بالعراق. ﴿فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ أي مشؤومات؛ قاله مجاهد وقتادة[(٦)]. كن آخر شوال من يوم الأربعاء إلى يوم الأربعاء وذلك ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٧] قال ابن عباس: ما عذب قوم إلا في يوم الأربعاء[(٧)]. وقيل: ﴿نَّحِسَاتٍ﴾باردات؛ حكاه النقاش. وقيل: متتابعات؛ عن ابن عباس[(٨)] وعطية. الضحاك: شداد[(٩)]. وقيل: ذات غبار؛ حكاه ابن عيسى. ومنه قول الراجز:

قد اغْتَدى قَبْلَ طُلوعِ الشَّمْسِ لِلصَّيْدِ فِي يَوْمٍ قَلِيلِ النَّحْسِ

قال الضحاك وغيره[(١٠)]: أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين، ودرت الرياح عليهم في غير

---

(١) سبق تضعيف هذا الكلام ، عند الآية (٦٩) من سورة الأعراف .
(٢، ٣) صحيح إليهما : الطبري (٢٤/ ١٠٠، ١٠١) في تفسيره .
(٤) سبق هذا .
(٥) صحيح إليه الطبري (٢٤/١٠١) في تفسيره .
(٦) صحيح إليهما : الطبري (٢٤/ ١٠١) في تفسيره .
(٧) هذا مردود وسيأتي ـ إن شاء الله .
(٨) ضعيف :رواه الطبري (٢٤/ ١٠١) في تفسيره ،من طريق العوفيين .
(٩) فيه انقطاع : الطبري (٢٤/ ١٠٢) في تفسيره.
(١٠) البغوي (٧/ ١٦٩) في تفسيره غير مسند .

www.alukah.com

مطر، وخرج منهم قوم إلى مكة يستسقون بها للعباد، وكان الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء أو جهد طلبوا إلى الله تعالى الفرج منه، وكانت طلبتهم ذلك من الله تعالى عند بيته الحرام مكة مسلمهم وكافرهم، فيجتمع بمكة ناس كثير شتي، مختلفة أديانهم، وكلهم معظم لمكة، عارف حرمتها ومكانها من الله تعالى. وقال جابر بن عبد الله والتيمي: إذا أراد الله بقوم خيرا أرسل عليهم المطر وحبس عنهم كثرة الرياح، وإذا أراد الله بقوم شرا حبس عنهم المطر وسلط عليهم كثرة الرياح. وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: ﴿نَّحِسَاتٍ﴾ (١) بكسر الحاء، أي: ذوات نحس. ومما يدل على أن النحس مصدر قوله: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ [القمر: ١٩] ولو كان صفة لم يضف اليوم إليه؛ وبهذا كان يحتج أبو عمرو على قراءته؛ واختاره أبو حاتم. واختار أبو عبيد القراءة الثانية وقال: لا تصح حجة أبي عمرو؛ لأنه أضاف اليوم إلى النحس فأسكن، وإنما كان يكون حجة لو نون اليوم ونعت وأسكن؛ فقال: ﴿فِي يَوْمٍ نَحْسٍ﴾ [القمر: ١٩] وهذا لم يقرأ به أحد نعلمه. وقال المهدوي: ولم يسمع في ﴿نَحْسٍ﴾ إلا الإسكان. قال الجوهري: وقرئ في قوله: ﴿فِي يَوْمٍ نَحْسٍ﴾ [القمر: ١٩] على الصفة، والإضافة أكثر وأجود. وقد نحس الشيء بالكسر فهو نحس أيضا؛ قال الشاعر:

أبلغ جذاما ولَخْما أنّ إخوتَهم طَيًّا وبَهْراء قوم نصرهم نحس

ومنه قيل: أيام نحسات. ﴿لِّنُذِيقَهُمْ﴾ أي: لكي نذيقهم ﴿عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: العذاب بالريح العقيم. ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لا يُنصَرُونَ﴾ أي: أعظم وأشد.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ أي بينا لهم الهدى والضلال؛ عن ابن عباس وغيره. وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق وغيرهما «وأما ثمودَ» بالنصب، وقد مضى الكلام فيه في «الأعراف» ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ أي: اختاروا الكفر على الإيمان. وقال أبو العالية: اختاروا العمى على البيان(٢). السدي: اختاروا المعصية على الطاعة(٣). ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ ﴿الْهُونِ﴾ بالضم الهوان. وهون بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر أخو كنانة وأسد. وأهانه: استخف به. والاسم الهوان والمهانة. وأضيف الصاعقة إلى العذاب، لأن الصاعقة اسم للمبيد المهلك، فكأنه قال مهلك العذاب؛ أي: العذاب المهلك. والهون وإن كان مصدرا فمعناه الإهانة والإهانة عذاب، فجاز أن يجعل أحدهما وصفا للآخر؛ فكأنه قال: صاعقة الهون. وهو كقولك: عندي علم اليقين، وعندي العلم اليقين. ويجوز أن يكون الهون اسما مثل الدون؛ يقال: عذاب هون، أي: مهين؛ كما قال: ﴿مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤]. وقيل: أي صاعقة العذاب ذي الهون. ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من تكذيبهم صالحا وعقرهم الناقة، على ما تقدم. ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ يعني صالحا ومن آمن

(١) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص١٧٠).

(٢) البغوي (٧/ ١٦٩) في تفسيره.

(٣) صحيح: الطبري (٢٤/ ١٠٣) في تفسيره.

obeikandi.com

به؛ أي: ميـزناهم عن الكفار، فلم يحل بهم ما حل بالكفـار، وهكذا يا محمد نفـعل بمؤمني قومك وكفارهم.

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٩ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٠ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢١ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ﴾ قرأ نافع: «نحـشر» بالنون[1] «أعداءَ» بالنصب. الباقون ﴿يُحْشَرُ﴾ بياء مـضمـومة ﴿أَعْدَاءُ﴾ بالرفع ومعـناهما بين. وأعداء الله: الذيـن كذبوا رسله وخالفوا أمره. ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يساقون ويدفـعون إلى جهنم. قال قتـادة والسدي: يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا؛ قال أبو الأحوص: فإذا تكاملت العدة بدئ بالأكابر فالأكابر جرما. وقد مضى في «النمل»[2] الكلام في ﴿يوزعون﴾ [النمل: ١٧] مستوفى.

قوله تـعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا﴾ ﴿مَا﴾ زائدة ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الجلود يعني بها الجلود أعيانها في قول أكثر المفسـرين. وقال السدي وعبيد الله بن أبي جعفر والفراء: أراد بالجلود الفروج؛ وأنشد بعض الأدباء لعامر بن جوية:

المرءُ يسعى لِلسـلا مَةِ والسلامـةُ حسْبُـه
أو سالـم من قد تثـ ـنَّى جلْده وابيضَّ رأسُه

وقـال: جلده كناية عن فرجـه. ﴿وَقَالُوا﴾ يعني الكفار ﴿لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ وإنما كنا نجادل عنكم: ﴿قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ لما خاطـبت وخوطبت أجـريت مجرى من يـعقل. ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: ركب الحياة فيكم بعد أن كنتم نطفـا، فمن قدر عليه قدر على أن ينطق الجلود وغيرها من الأعضاء. وقيل: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ابتداء كلام من الله. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وفي صحيح مسلم عن أنـس بن مالك قال: كنا عنـد رسول الله ﷺ فضـحك فقـال: «هل تدرون مم أضحك؟» قلنا: الله ورسـوله أعلم، قال: «من مـخاطبة الـعبد ربه يقـول يا رب ألم تجرني من الظـلم؟ قال: يقول: بلى. قال: فـيقول فإني لا أجيـز على نفسي إلا شاهدا مني قال: يقول: كـفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال: فيختم على فيه فيقال لأركانه: انطقي فتنطق بأعماله قال: ثم يخلي بينه وبين الكلام قال فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل»[2] وفي حديث أبي هريرة ثم يقال: «الآن نبعث شاهدنا عليك ويتـفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيخـتم على فيه ويقال لفخـذه ولحمه وعظامه: انـطقي، فتنطق فخذه ولحـمه وعظامه بعـمله وذلك ليعذر من نفـسه وذلك المنافق، وذلك الذي سخط الله عليه»[3] خرجه أيضا مسلم.

---

(١) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص ١٧٠).
(٢) صحيح: مسلم (٢٩٦٩) في الزهد والرقائق.
(٣) صحيح: عبد الرزاق (٢٥٧١) في تفسيره.

﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ يجوز أن يكون هذا من قول الجوارح لهم، ويجوز أن يكون من قول الله عز وجل أو الملائكة. وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال: اجتمع عند البيت ثلاثة نفر: قرشيان ،وثقفي، أو ثقفيان، وقرشي؛ قليل فقه قلوبهم، كثير شحم بطونهم، فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول؟ فقال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا؛ وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا؛ فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ﴾[1] الآية؛ وخرجه الترمذي فقال: اختصم عند البيت ثلاثة نفر. ثم ذكره بلفظه حرفا حرفا وقال: حديث حسن صحيح؛ حدثنا هناد قال: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمارة بن عمير عن عبدالرحمن بن يزيد قال: قال عبد الله: كنت مستترا بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم، قرشي وختناه ثقفيان، أو ثقفي وختناه قرشيان، فتكلموا بكلام لم أفهمه؛ فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع كلامنا هذا ؟ فقال الآخر: إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعه، وإذا لم نرفع أصواتنا لم يسمعه، فقال الآخر: إن سمع منه شيئا سمعه كله، فقال عبد الله: فذكرت ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ قال: هذا حديث حسن صحيح[2]. قال الثعلبي: والثقفي عبد ياليل، وختناه ربيعة وصفوان بن أمية. ومعنى ﴿تَسْتَتِرُونَ﴾ تستخفون في قول أكثر العلماء؛ أي: ما كنتم تستخفون من أنفسكم حذرا من شهادة الجوارح عليكم؛ لأن الإنسان لا يمكنه أن يخفي من نفسه عمله، فيكون الاستخفاء بمعنى ترك المعصية. وقيل: الاستتار بمعنى الاتقاء؛ أي: ما كنتم تتقون في الدنيا أن تشهد عليكم جوارحكم في الآخرة فتتركوا المعاصي خوفا من هذه الشهادة. وقال معناه مجاهد[3]. وقال قتادة: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ أي: تظنون ﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾ بأن يقول: سمعت الحق وما وعيت وسمعت ما لا يجوز من المعاصي[4] ﴿وَلَا أَبْصَارُكُمْ﴾ فتقول: رأيت آيات الله وما اعتبرت

---

(١) متفق عليه : البخاري (٤٨١٦) في التفسير ، ومسلم (٢٧٧٥) في صفات المنافقين ، وختنه : زوج أخته ، أو زوج ابنته بفتح الخاء .

(٢) حسن صحيح : الترمذي (٣٢٤٩) في التفسير ، وصحّحه الألباني هناك .

(٣) قال الطبري: تتقون ورواه بسنده عن مجاهد (٢٤/ ١٠٧) في تفسيره.

(٤) صحيح إلىٰ قتادة : الطبري (٢٤/ ١٠٧) في تفسيره بنحوه .

ونظرت فيـما لا يجوز ﴿وَلا جُلُودُكُمْ﴾ تقدم. ﴿وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾من أعمالكم فجادلتم على ذلك حتى شهدت عليكم جوارحكم بأعمالكم. روى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ في قوله: ﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ﴾ قال: «إنكم تدعون يوم القيامة مفدمة أفواهكم بفدام[١]، فأول ما يبين عن الإنسان فخذه وكفه»[٢] قال عبد الله بن عبد الأعلى الشامي فأحسن:

العُمْرُ يَنْقُصُ والذُّنُوبُ تَزِيدُ ... وتُقَالُ عَثْرَاتُ الفتى فيعودُ
هل يستطيعُ جُحُودَ ذنبٍ واحدٍ ... رجُلٌ جوارِحُه عليه شُهودُ
والمرءُ يسأل عن سَنِيه فيشتهي ... تَقليلَها وعن الممات يحيدُ

وعن معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال: «ليس من يوم يأتي على ابن آدم إلا ينادي فيه: يا بن آدم أنا خلق جديد وأنا فيما تعمل غدا عليك شهيد، فاعمل في خيرا أشهد لك به غدا فإني لو قد مضيت لم ترني أبدا ويقول الليل مثل ذلك»[٣] ذكره أبو نعيم الحافظ وقد ذكرناه في كتاب« التذكرة» في باب شهادة الأرض والليالي والأيام والمال. وقال محمد بن بشير فأحسن:

مضَى أمسك الأدْنى شَهيدا معدَّلا ... ويومُك هذا بالفعَال شهيدُ
فإنْ تَكُ بالأمسِ اقترفت إساءَةً ... فَثَنِّ بإحسانٍ وأنتَ حميدُ
ولا تُرْجَ فعلَ الخير منك إلى غد ... لعلَّ غداً يأتي وأنت فَقيدُ

قوله تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾ أي: أهلككم فأوردكم النار. قال قتادة: الظن هنا بمعنى العلم. وقال النبي ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله، فإن قوما أساؤوا الظن بربهم فأهلكهم»[٤] فذلك قوله: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾. وقال الحسن البصري: إن قوما ألهتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة، ويقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي وكذب، ولو أحسن الظن لأحسن العمل، وتلا قول الله تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٥]. وقال قتادة: من استطاع منكم أن يموت وهو حسن الظن بربه فليفعل، فإن الظن اثنان: ظن ينجي وظن يردي[٦]. وقال عمر بن الخطاب في هذه الآية: هؤلاء قوم كانوا يدمنون المعاصي ولا يتوبون منها ويتكلمون على المغفرة، حتى خرجوا من الدنيا مفاليس، ثم قرأ: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٧].

قوله تعالى: ﴿فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ أي: فإن يصبروا في الدنيا على أعمال أهل النار فالنار مثوى لهم. نظيره ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥] على ما تقدم. ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ

---

(١) المعنى: أنهم يُمنعون الكلام بأفواههم حتى تتكلم جوارحهم. النهاية(٣/ ٤٢١) لابن الأثير.
(٢) صحيح: وقد سبق.
(٣) ضعيف: أبو نعيم (٢/ ٣٠٣) في الحلية، وضعّفه.
(٤) صحيح: وقد سبق.
(٥) سبق قبل ذلك، وانظر: تفسير ابن كثير (٧/ ١٣١)، وسنده حسن.
(٦) انظر السابق. (٧) لم أجده مسندًا.

﴿الْمُعْتَبِينَ﴾في الدنيا وهم مقيمون على كفرهم ﴿فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾. وقيل: المعنى﴿ فَإِن يَصْبِرُوا﴾ في النار أو يجزعوا ﴿فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ أي: لا محيص لهم عنها، ودل على الجزع قوله: ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا﴾ لأن المستعتب جزع والمعتب المقبول عتابه؛ قال النابغة:

فإنْ أكُ مَظْلُومًا فَعَبْدٌ ظَلَمْتَه وإنْ تَكُ ذَا عُتْبَى فَمِثْلكَ يُعْتِبُ

أي : مثلك من قبل الصلح والمراجعة إذا سئل. قال الخليل: العتاب مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموجدة. تقول: عاتبته معاتبة، وبينهم أعتوبة يتعاتبون بها. يقال: إذا تعاتبوا أصلح ما بينهم العتاب. وأعتبني فلان: إذا عاد إلى مسرتي راجعا عن الإساءة، والاسم منه العتبى، وهو رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضي العاتب. واستعتب وأعتب بمعنى، واستعتب أيضا طلب أن يعتب؛ تقول: استعتبته فأعتبني أي : استرضيته فأرضاني. فمعنى ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا﴾أي: طلبوا الرضا لم ينفعهم ذلك بل لا بد لهم من النار. وفي التفاسير: وإن يستقيلوا ربهم فما هم من المقالين. وقرأ عبيد بن عمير وأبو العالية: «وإن يُسْتَعْتَبوا» فتح التاء الثانية وضم الياء على الفعل المجهول « فما هم من المعْتَبين» بكسر التاء أي: إن أقالهم الله وردهم إلى الدنيا لم يعملوا بطاعته لما سبق لهم في علم الله من الشقاء، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨] ذكره الهروي. وقال ثعلب: يقال: أعتب: إذا غضب، وأعتب: إذا رضي.

قوله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ قال النقاش: أي هيأنا لهم شياطين. وقيل: سلطنا عليهم قرناء يزينون عندهم المعاصي، وهؤلاء القرناء من الجن والشياطين ومن الإنس أيضا؛ أي: سببنا لهم قرناء؛ يقال: قيض الله فلانا لفلان، أي: جاءه به وأتاحه له، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾. القشيري: ويقال: قيض الله لي رزقا أي أتاحه كما كنت أطلبه، والتقييض الإبدال ومنه المقايضة، قايضت الرجل مقايضة أي: عاوضته بمتاع، وهما قيضان كما تقول: بيعان. ﴿فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا فحسنوه لهم حتى آثروه على الآخرة :﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ حسنوا لهم ما بعد مماتهم ودعوهم إلى التكذيب بأمور الآخرة؛ عن مجاهد. وقيل: المعنى ﴿قَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ في النار ﴿فَزَيَّنُوا لَهُم﴾ أعمالهم في الدنيا؛ والمعنى قدرنا عليهم أن ذلك سيكون وحكمنا به عليهم. وقيل: المعنى أحوجناهم إلى الأقران؛ أي أحوجنا الفقير إلى الغني لينال منه، والغني إلى الفقير ليستعين به فزين بعضهم لبعض المعاصي. وليس قوله: ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ عطفا على ﴿مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ بل المعنى وأنسوهم ما خلفهم ففيه هذا الإضمار. قال ابن عباس :﴿مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ تكذيبهم بأمور الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ التسويف والترغيب في الدنيا [1]. الزجاج: ﴿مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ما عملوه ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ما عزموا على أن يعملوه. وقد تقدم قول مجاهد. وقيل: المعنى لهم مثل ما تقدم من المعاصي﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما يعمل بعدهم. ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ أي: وجب عليهم من العذاب ما وجب على الأمم الذين من قبلهم الذين كفروا ككفرهم. وقيل ﴿فِي﴾ بمعنى مع؛ فالمعنى هم داخلون مع الأمم الكافرة قبلهم فيما دخلوا فيه. وقيل: ﴿فِي أُمَمٍ﴾ في جملة أمم، ومثله قول الشاعر:

إنْ تَكُ عَنْ أحْسَنِ الصَّنِيعَة مَأْ فُوكًا فَفِي آخَرِينَ قد أفكوا

(١) زاد المسير (٥/ ٢٠٢) لابن الجوزي دون سند .

يريد فأنت في جـملة آخرين لست في ذلك بأوحـد. ومحل ﴿فِي أُمَمٍ﴾ النصب على الحال من الضمير في﴿عَلَيْهِمُ﴾ أي: حق عليهم القول كـائنين في جملة أمم. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ أعمالهم في الدنيا وأنفسهم وأهليهم يوم القيامة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ لما أخبر تعالى عن كـفر قوم هود وصالح وغيرهم أخبر عن مشـركي قريش وأنهم كذبوا القرآن فقالوا: ﴿لا تَسْمَعُوا﴾. وقيل: معنى﴿لا تَسْمَعُوا﴾ لا تطيعوا؛ يقال: سمعت لك أي أطعتك. ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾قال ابن عباس: قال أبو جهل: إذا قرأ محمد فصيـحوا في وجهه حـتى لا يدري ما يقول. وقيل: إنهم فـعلوا ذلك لما أعجزهم القرآن. وقـال مجاهد: المعنى ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾ بالمكاء والتصفـيق والتخليط في المنطق حتى يصـير لغوا[1]. وقال الضحـاك: أكثروا الكلام ليختلط عليـه ما يقول. وقال أبو العالية وابن عـباس أيضا: قعوا فيـه وعيبوه[2]. ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ محمدا على قراءته فـلا يظهر ولا يستميل القلوب. وقرأ عيسى بن عمـر والجحدري وابن أبي إسحاق وأبو حيـوة وبكر بن حبيب السـهمي « والغُوا » بضم الغـين وهي لغة من لغا يلغـو. وقراءة الجمـاعة من لغي يلغى. قال الهروي: وقوله: ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾ قيل: عارضوه بكلام لا يفهم. يقال: لغوت ألغو وألغى، ولغي يلغى ثلاث لغات. وقد مضى معنى اللغو في « البقرة »[3] هو ما لا يعلم له حقيقة ولا تحصيل.

قوله تعالى: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ قد تقدم أن الذوق يكون محـسوسا، ومعنى العذاب الشديد: مـا يتوالى فـلا ينقطع. وقيل: هو العـذاب في جمـيع أجزائهم. ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: ولنجزينهم في الآخرة جزاء قبح أعمالهم الـتي عملوها في الدنيا. وأسوأ الأعمال الشرك. ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ﴾أي ذلك العذاب الشـديد، ثم بينه بقوله ﴿النَّارُ﴾ وقرأ ابن عبـاس «ذلك جزاء أعداء الـله النار دار الخلد» فتـرجم بالدار عن النار وهو مجـاز الآية. و﴿ذَلِكَ﴾ ابتداء و﴿جَزَاءُ﴾ الخبـر و«﴿النَّارُ﴾ بدل من «جزاء» أوخبر مبتدأ مضمر، والجملة في موضع بيان للجملة الأولى.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾يعني في النار فذكره بلفظ الماضي والمراد المستقبل ﴿رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾يعني إبليس وابن آدم الذي قتل أخاه. عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما[4]؛ ويشهد لهذا القول الحديث المرفوع: «ما من مسلم يقتل ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من ذنبه

(١) صحيح إليه : الطبري (٢٤/ ١١١) في تفسيره .
(٢) انظر: فتح القدير (٦/ ٣٥٢) للشوكاني بنحوه .
(٣) عند الآية (٢٢٥) .
(٤) وهو قول علي ـ رضي الله عنه ـ بأسـانيد يشد بعضهـا بعضًا ،وانظر: الطبري (٢٤/ ١١٢) في تفـسيره ، والدر المنثور (٥/ ٦٨١) للسيوطي .

لأنه أول من سن القتل» خرجه الترمذي [١] ، وقيل: هو بمعنى الجنس وبني على التثنية لاختلاف الجنسين. ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾سألوا ذلك حتى يشتفوا منهم بأن يجعلوهم تحت أقدامهم ﴿لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ﴾ في النار وهو الدرك الأسفل سألوا أن يضعف الله عذاب من كان سبب ضلالتهم من الجن والإنس. وقرأ ابن محيصن والسوسي عن أبي عمرو وابن عامر وأبو بكر والمفضل: « أرِنَا » بإسكان الراء، وعن أبي عمرو أيضا باختلاسها. وأشبع الباقون كسرتها[٢] ،وقد تقدم في «الأعراف»[٣] .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾قال عطاء عن ابن عباس: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ وذلك أن المشركين قالوا ربنا الله والملائكة بناته وهؤلاء شفعاؤنا عند الله؛ فلم يستقيموا. وقال أبو بكر: ربنا الله وحده لا شريك له ومحمد ﷺ عبده ورسوله؛ فاستقام[٤]. وفي الترمذي عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ قال: «قد قال الناس ثم كفر أكثرهم فمن مات عليها فهو ممن استقام»[٥] قال: حديث غريب. ويروى في هذه الآية عن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي معنى ﴿اسْتَقَامُوا﴾[٦]؛ ففي صحيح مسلم عن سفيان بن عبدالله الثقفي قال: قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك - وفي رواية - غيرك. قال: «قل آمنت بالله ثم استقم»[٧] زاد الترمذي **قلت**: يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ بلسان نفسه وقال: «هذا»[٨]. وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ لم يشركوا بالله شيئا [٩]. وروى عنه الأسود بن هلال أنه قال لأصحابه: ما تقولون في هاتين الآيتين ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾و﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ فقالوا: استقاموا فلم يذنبوا ولم يلبسوا إيمانهم بخطيئة؛ فقال أبو بكر: لقد حملتموها على غير المحمل ﴿قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ فلم يلتفتوا إلى إله غيره ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم﴾ بشرك ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[١٠]. وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال على المنبر وهو يخطب ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ فقال: استقاموا والله على الطريقة لطاعته ثم لم يرغوا

---

(١) صحيح : وقد سبق . (٢) قراءات متواترة : تقريب النشر (ص٩٤) .

(٣) هكذا في المطبوعات ، والصواب:« البقرة »، وهو وهم من النساخ؛ لأن القرطبي رحمه الله ذكر ذلك عند تفسيره للآية (١٢٨) من سورة البقرة ،وليس في الأعراف شيء من هذا

(٤) انظر التالي .

(٥) غريب : الترمذي (٣٢٥٠) في التفسير، وضعّفه الألباني هناك، و(١١٤٧٠) في الكبرى عند النسائي

(٦) ضعيف : رواه بصيغة التمريض .

(٧، ٨) صحيحان : وقد سبقا ، وانظر: مسلم (٣٨) في الإيمان .

(٩) ضعيف : فيه سعيد بن مهران : مجهول ، وعامر بن سعد : مقبول إذا توبع ،وإلا فهو لين ،وقد توبع فما بعده شاهد له ، انظر: الطبري (٢٤/ ١١٤).

(١٠) رجاله ثقات : إذا كان الأسود قد سمع من أبي بكر ،وانظر الطبري (٢٤/ ١١٤) في تفسيره .

روغان الثعالب[١]. وقال عثمـان رضي الله عنه: ثم أخلصوا العمل لله [٢]. وقال علي رضي الله عنه: ثم أدوا الفرائض[٣]. وأقوال التابعين بمعناها. قال ابن زيد وقتادة: استقاموا على الطاعة لله[٤]. الحسن: استقاموا على أمر الله فعملوا بطاعـته واجتنبوا معصيته[٥]. وقال مجاهد وعكرمة: استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى ماتوا [٦]. وقال سفيان الثـوري: عملوا على وفاق ما قالوا [٧]. وقال الربيع: أعرضـوا عما سوى الله [٨]. وقال الفضـيل بن عياض: زهدوا في الفانيـة ورغبوا في الباقية[٩]. وقيل: استقامـوا إسرارا كما استقاموا إقرارا. وقـيل: استقاموا فعلا كما اسـتقاموا قولا. وقـال أنس: لما نزلت هذه الآية قـال النبي ﷺ: «هم أمـتي ورب الكعبـة» [١٠]. وقال الإمـام ابن فورك: السين سين الطلب مثل استسقى أي سألوا مـن الله أن يثبتهم على الدين. وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية قال: اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة [١١].

قلت: وهذه الأقوال وإن تداخلت فتلخيصها: اعتدلوا على طاعة الله عقدا وقولا وفعلا، وداموا على ذلك.

قوله تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ﴾ قال ابن زيد ومجاهد[١٢]: عند الموت. وقال مقاتل وقتادة: إذا قاموا من قبورهم للبعث[١٣]. وقال ابن عباس: هي بشرى تكون لهم من الملائكة في الآخرة [١٤]. وقال وكيع وابن زيد: البـشرى في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القـبر وعند البعث[١٥]. ﴿ أَلاَّ تَخَافُوا﴾ أي: « بألا تخافوا » فـحذف الجار. وقال مجـاهد: لا تخافوا الموت[١٦]. وقال عطاء بن أبي رباح: لا تخافوا رد ثوابكم فإنه مقبول، وقـال عكرمة ولا تخافوا أمامكم، ولا تحزنوا على ذنوبكم. ﴿ وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ على أولادكم فإن الله خلـيفتكم عليـهم. وقال عطاء بن أبي رباح: لا تحزنوا على ذنوبكم فإني أغفرها لكم[١٧]. وقال عكرمة: لا تحزنوا على ذنوبكم[١٨].

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾أي تقول لهم الملائكة الذيـن تتنزل عليهم بالبشارة: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ﴾قال مجـاهد : أي نحن قرناؤكم الذين كنا معكم في الدنيـا، فإذا كان يوم القيامة قالوا لا نفارقكم حتى ندخلكم الجنة[١٩]. وقال السدي: أي نحن الحفظة لأعمالكم في الدنيا وأولياؤكم في الآخرة [٢٠]. ويجوز أن يكون هذا من قول الله تعالى؛ والله ولي المؤمنين ومولاهم. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ﴾أي: من الملاذ. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ تسألون وتتمنون. ﴿نُزُلاً﴾أي رزقا وضيافة من الله الغفور الرحيم. وقد تقدم في «آل عمران»[٢١].وهو منصوب على المصدر، أي أنزلناه نزلا. وقيل: على الحال. وقيل: هو جمع نازل، أي لكم ما تدعون نازلين، فيكون حالا من الضمير

---

(١) منقطع: بين الزّهري وعمر، وانظر ابن كثير (٧/ ١٣٣) في التفسير .
(٢ ـ ٩) ابن كثير (٧/ ١٣٣) في التفسير ، وفتح القدير (٦/ ٣٥٣) ،للشوكاني والدر المنثور (٥/ ٦٨١، ٦٨٢) للسيوطي.
(١٠) لم أجده بهذا اللفظ . (١١) صحيح : إليه : عبد الرزّاق (٣/ ١٨٦) في تفسيره .
(١٢) صحيح إليهما : الطبري (٢٤/ ١١٥) في تفسيره.
(١٣ ـ ١٨) فتح القدير (٦/ ٣٥٣، ٣٥٤) للشوكاني.
(١٩) الطبري (٢٤/ ١١٦).
(٢٠) صحيح إلى السدي : الطبري (٢٤/ ١١٦) في تفسيره.
(٢١) عند الآية (١٩٨)

المرفوع في ﴿تَدْعُونَ﴾ أو من المجرور في ﴿لَكُمْ﴾.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ هذا توبيخ للذين تواصوا باللغو في القرآن. والمعنى: أي كلام أحسن من القرآن، ومن أحسن قولا من الداعي إلى الله وطاعته وهو محمد ﷺ. قال ابن سيرين والسدي وابن زيد والحسن: هو رسول الله ﷺ. وكان الحسن إذا تلا هذه الآية يقول: هذا رسول الله، هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا والله أحب أهل الأرض إلى الله؛ أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب إليه[١]. وقالت عائشة رضي الله عنها وعكرمة وقيس بن أبي حازم ومجاهد: نزلت في المؤذنين[٢]. قال فضيل بن رفيدة: كنت مؤذنا لأصحاب عبد الله بن مسعود، فقال لي عاصم بن هبيرة: إذا أذنت فقلت: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، فقل: وأنا من المسلمين؛ ثم قرأ هذه الآية[٣]؛ قال ابن العربي: الأول أصح؛ لأن الآية مكية والأذان مدني؛ وإنما يدخل فيها بالمعنى؛ لا أنه كان المقصود وقت القول، ويدخل فيها أبو بكر الصديق حين قال في النبي ﷺ وقد خنقه الملعون: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨] وتتضمن كل كلام حسن فيه ذكر التوحيد والإيمان.

قلت: وقول ثالث وهو أحسنها. قال الحسن: هذه الآية عامة في كل من دعا إلى الله[٤]. وكذا قال قيس بن أبي حازم قال: نزلت في كل مؤمن[٥]. قال: ومعنى ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ الصلاة بين الأذان والإقامة؛ وقاله أبو أمامة؛ قال: صلي ركعتين بين الأذان والإقامة[٦]. وقال عكرمة: ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ صلى وصام[٧]. وقال الكلبي: أدى الفرائض[٨].

قلت: وهذا أحسنها مع اجتناب المحارم وكثرة المندوب. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ قال ابن العربي[٩]: وما تقدم يدل على الإسلام، لكن لما كان الدعاء بالقول والسيف يكون للاعتقاد ويكون للحجة، وكان العمل يكون للرياء والإخلاص، دل على أنه لا بد من التصريح بالاعتقاد لله في ذلك كله، وأن العمل لوجهه.

---

(١) صحيح إلى ابن زيد، والحسن، والسدى: انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ١١٧)، وعزاه السيوطي لابن المنذر وعبد حميد من طريق ابن سيرين الدر المنثور (٥/ ٦٨٤)

(٢) عزاه السيوطي (٥/ ٦٨٤) في الدر لابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن مردويه.

(٣) رواه سعيد بن منصور كما في الدر(٥/ ٦٨٤) للسيوطي، قلت: ولا يصح، فلا توقيف له عن الكتاب أو السنة.

(٤، ٥) وهذا هو الصحيح: وعزاه السيوطي (٥/ ٦٨٤) في الدُّر لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٦ ـ ٨) فتح القدير (٦/ ٣٥٥) للشوكاني.

(٩) أحكام القرآن (٤/ ١٦٦٢) للقاضي ابن العربي المالكي.

مسألة: لما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ولم يقل له: اشترط إن شاء الله، كان في ذلك رد على من يقول: أنا مسلم إن شاء الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ قال الفراء: ﴿ لا﴾ صلة أي :« ولا تستوي الحسنة والسيئة»، وأنشد:

ما كان يَرْضَى رسولُ اللَّه فِعْلَهُمْ والطَّيِّبانِ أبو بَكْرٍ ولا عمـــرُ

أراد : أبو بكر وعمر؛ أي : لا يستوي ما أنت عليه من التوحيد، وما المشركون عليه من الشرك. قال ابن عباس: الحسنة لا إله إلا الله، والسيئة الشرك. وقيل: الحسنة الطاعة، والسيئة الشرك[١]. وهو الأول بعينه. وقيل: الحسنة المداراة، والسيئة الغلظة. وقيل: الحسنة العفو، والسيئة الانتصار. وقال الضحاك: الحسنة العلم، والسيئة الفحش[٢]. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الحسنة حب آل الرسول، والسيئة بغضهم.

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ نسخت بآية السيف[٣]، وبقي المستحب من ذلك: حسن العشرة والاحتمال والإغضاء. قال ابن عباس: أي ادفع بحلمك جهل من يجهل عليك[٤]. وعنه أيضا: هو الرجل يسب الرجل فيقول الآخر إن كنت صادقا فغفر الله لي، وإن كنت كاذبا فغفر الله لك. وكذلك يروى في الأثر: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال ذلك لرجل نال منه. وقال مجاهد ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ يعني السلام إذا لقي من يعاديه؛ وقاله عطاء[٥]. وقول ثالث ذكره القاضي أبو بكر ابن العربي في الأحكام وهو المصافحة. وفي الأثر: «تصافحوا يذهب الغل»[٦]. ولم ير مالك المصافحة، وقد اجتمع مع سفيان فتكلما فيها فقال سفيان: قد صافح رسول الله ﷺ جعفرا حين قدم من أرض الحبشة؛ فقال له مالك: ذلك خاص. فقال له سفيان: ما خص رسول الله ﷺ يخصنا، وما عمه يعمنا، والمصافحة ثابتة فلا وجه لإنكارها. وقد روى قتادة قال قلت لأنس: هل كانت المصافحة في أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم[٧]. وهو حديث صحيح. وفي الأثر: من تمام المحبة الأخذ باليد [٨]. ومن حديث محمد بن إسحاق وهو إمام مقدم، عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله ﷺ في بيتي، فقرع الباب فقام إليه رسول الله ﷺ عريانا يجر ثوبه ـ والله ما رأيته عريانا قبله ولا بعده ـ فاعتنقه وقبله.

قلت: قد روي عن مالك جواز المصافحة وعليها جماعة من العلماء. وقد مضى ذلك في

(١، ٢) زاد المسير (٥/ ٣٠٥) لابن الجوزي .

(٣) لا نسخ هنا ، والله أعلم .

(٤) لم أجده مسندًا .

(٥) انظر تفسير الطبري (٢٤/ ١١٨) عن عطاء .

(٦) ضعيف : وضعفه الألباني (٢٤٣٨) في ضعيف الجامع .

(٧) صحيح : البخاري (٦٢٦٣) في الاستئذان .

(٨) ضعيف : ضعيف الجامع (٢٤٧٩) عن أبي أمامة ولفظه: (تمام التحية) وعزاه الألباني ـ رحمه الله ـ هناك للحاكم في الكُنَى .ورواه الترمذي (٢٧٣٠) في الاستئذان عن ابن مسعود ، وضعفه الألباني هناك .

«يوسف» وذكرنا هناك حديث البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلمين يلتقيان فيأخذ أحدهما بيد صاحبه مودة بينهما ونصيحة إلا ألقيت ذنوبهما بينهما»(١).

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ أي: قريب صديق. قال مقاتل: نزلت في أبي سفيان بن حرب، كان مؤذيا للنبي ﷺ، فصار له وليا بعد أن كان عدوا بالمصاهرة التي وقعت بينه وبين النبي ﷺ، ثم أسلم فصار وليا في الإسلام حميما بالقرابة(٢). وقيل: هذه الآية نزلت في أبي جهل بن هشام، كان يؤذي النبي ﷺ، فأمره الله تعالى بالصبر عليه والصفح عنه؛ ذكره الماوردي(٣). والأول ذكره الثعلبي والقشيري وهو أظهر؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾. وقيل: كان هذا قبل الأمر بالقتال. قال ابن عباس: أمره الله تعالى في هذه الآية بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعل الناس ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم(٤). وروي أن رجلا شتم قنبرا مولى علي بن أبي طالب فناداه علي: يا قنبر دع شاتمك، واله عنه، ترضي الرحمن، وتسخط الشيطان، وتعاقب شاتمك، فما عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه(٥). وأنشدوا:

وَلَلْكَفُّ عن شَتْمِ اللَّئِيم تكَرُّماً ... أضَرُّ له مِنْ شَتْمِهِ حين يُشْتَمُ

وقال آخر:

ومَا شَيءٌ أحَبُّ إلى سَفِيهٍ ... إذا سبَّ الكَرِيمَ مِنَ الجَوَاب
مُتَارَكَةُ السَّفِيهِ بلا جوابٍ ... أشَدُّ على السَّفِيهِ من السِّبابِ

وقال محمود الوراق:

سَأَلزِم نفسِي الصَّفْحَ عن كُلِّ مُذْنِبٍ ... وإنْ كَثُرَتْ منه لَدَيَّ الجَرائِمُ
فَمَا النَاسُ إلا واحِدٌ مِن ثلاثةٍ ... شَرِيفٌ ومَشْرِفٌ ومِثْلٌ مقاوِمُ
فأما الذِي فَوقِي فَأَعْرِفُ قَدْرَهُ ... واتْبَعُ فِيه الحَقَّ والحَقُّ لازِمُ
وأما الّذي دُونِي فإنْ قَالَ صُنْتُ عن ... إجابته عِرضِي وإنْ لام لائِمُ
وأمّا الّذي مِثْلِي فإنْ زَلَّ أو هَفَا ... تَفَضَّلْتُ إنّ الفَضْلَ بالحِلم حاكِمُ

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا﴾ يعني هذه الفعلة الكريمة والخصلة الشريفة ﴿إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ بكظم الغيظ واحتمال الأذى. وقيل: الكناية في ﴿يُلَقَّاهَا﴾ عن الجنة؛ أي: ما يلقاها إلا الصابرون؛ والمعنى متقارب. ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ أي: نصيب وافر من الخير(٦)؛ قاله ابن عباس. وقال قتادة ومجاهد: الحظ العظيم: الجنة(٧). قال الحسن: والله ما عظم حظ قط دون الجنة(٨).

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ تقدم في آخر «الأعراف». ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ من كيده وشره ﴿إِنَّهُ هُوَ

(١) ضعيف: عنعنه ابن إسحاق وهو مدلس، وانظر: الترمذي (٢٧٣٢) في الاستئذان، وضعفه الألباني هناك.
(٢) حسن: وقد سبق، وانظر: صحيح الجامع (٥٧٧٧، ٥٧٧٨) للألباني ـ رحمه الله.
(٣، ٤) النكت والعيون (٥/ ١٨٢) للماوردي بلا سند، والبغوي (٧/ ١٧٤) في تفسيره.
(٥) منقطع: بين علي بن أبي طلحة وابن عباس، والطبري (٢٤/ ١١٨) في تفسيره.
(٦ ـ ٨) زاد المسير (٥/ ٣٠٥) لابن الجوزي بلا سند.
وأثر قتادة عند السيوطي (٥/ ٦٨٥) في الدر وعزاه لعبد الرزّاق، وعبد بن حُمَيْد.

السَّمِيعُ﴾ لاستعاذتك ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأفعالك وأقوالك.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاته﴾ علاماته الدالة على وحدانيته وقدرته ﴿اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ وقد مضى في غير موضع. ﴿لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ﴾ نهى عن السجود لهما؛ لأنهما وإن كانا خلقين فليس ذلك لفضيلة لهما في أنفسهما فيستحقان بها العبادة مع الله؛ لأن خالقهما هو الله ولو شاء لأعدمهما أو طمس نورهما. ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ وصورهن وسخرهن؛ فالكناية ترجع إلى الشمس والقمر والليل والنهار. وقيل: للشمس والقمر خاصة؛ لأن الاثنين جمع. وقيل: الضمير عائد على معنى الآيات: ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ وإنما أنث على جمع التكثير ولم يجر على طريق التغليب للمذكر والمؤنث لأنه فيما لا يعقل. ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا﴾ يعني الكفار عن السجود لله ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ من الملائكة: ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ﴾ أي: لا يملون عبادته. قال زهير:

سَئِمتُ تَكَالِيفَ الحياةِ ومَنْ يَعِشْ ثَمانينَ حوْلاً لا أبَا لكَ يسْأَمُ

مسألة: هذه الآية آية سجدة بلا خلاف؛ واختلفوا في موضع السجود منها. فقال مالك: موضعه ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾؛ لأنه متصل بالأمر. وكان علي وابن مسعود وغيرهم يسجدون عند قوله: ﴿تَعْبُدُونَ﴾. وقال ابن وهب والشافعي: موضعه: ﴿وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ﴾ لأنه تمام الكلام وغاية العبادة والامتثال. وبه قال أبو حنيفة. وكان ابن عباس يسجد عند قوله: ﴿يَسْأَمُونَ﴾. وقال ابن عمر: اسجدوا بالآخرة منهما. وكذلك يروى عن مسروق وأبي عبد الرحمن السلمي وإبراهيم النخعي وأبي صالح ويحيى بن وثاب وطلحة وزبيد اليامين والحسن وابن سيرين. وكان أبو وائل وقتادة وبكر بن عبد الله يسجدون عند قوله: ﴿يَسْأَمُونَ﴾. قال ابن العربي: والأمر قريب.

مسألة: ذكر ابن خويز منداد: أن هذه الآية تضمنت صلاة كسوف القمر والشمس؛ وذلك أن العرب كانت تقول: إن الشمس والقمر لا يكسفان إلا لموت عظيم، فصلى النبي ﷺ صلاة الكسوف.

قلت: صلاة الكسوف ثابتة في الصحاح البخاري ومسلم وغيرهما. واختلفوا في كيفيتها اختلافا كثيرا، لاختلاف الآثار، وحسبك ما في صحيح مسلم من ذلك، وهو العمدة في الباب. والله الموفق للصواب.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاته أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ الخطاب لكل عاقل، أي: ﴿وَمِنْ آيَاته﴾ الدالة على أنه يحيي الموتى ﴿أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ أي: يابسة جدبة؛ هذا وصف الأرض بالخشوع؛ قال النابغة:

رمادٌ كَكُحْلِ العَيْنِ لأيًا أُبَيِّنُهُ ونُؤْيٌ كجِذْمِ الحَوْضِ أثْلَمُ خَاشِعُ

والأرض الخاشعة: الغبراء التي تنبت. وبلدة خاشعة، أي: مغبرة لا منزل بها. ومكان خاشع.

﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾أي بالنبات؛ قاله مجاهد(١). يقال: اهتز الإنسان، أي: تحرك؛ ومنه:

تَراهُ كنَصْلِ السَّيفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدى إذا لم تَجِدْ عِند امرئٍ السَّوْءِ مَطْمَعَا

﴿وَرَبَتْ﴾ أي: انتفخت وعلت قبل أن تنبت؛ قاله مجاهد. أي: تصعدت عن النبات بعد موتها. وعلى هذا التقدير يكون في الكلام تقديم وتأخير وتقديره: ربت واهتزت. والاهتزاز والربو قد يكونان قبل الخروج من الأرض؛ وقد يكونان بعد خروج النبات إلى وجه الأرض؛ فربوها ارتفاعها. ويقال للموضع المرتفع: ربوة ورابية؛ فالنبات يتحرك للبروز ثم يزداد في جسمه بالكبر طولا وعرضا. وقرأ أبو جعفر وخالد «وربأت» (٢) ومعناه عظمت؛ من الربيئة. وقيل: ﴿اهْتَزَّتْ﴾أي: استبشرت بالمطر ﴿وَرَبَتْ﴾أي: انتفخت بالنبات. والأرض إذا انشقت بالنبات: وصفت بالضحك، فيجوز وصفها بالاستبشار أيضا. ويجوز أن يقال: الربو والاهتزاز واحد؛ وهي حالة خروج النبات. وقد مضى هذا المعنى في ﴿الحج﴾﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾تقدم في غير موضع.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾أي: يميلون عن الحق في أدلتنا. والإلحاد: الميل والعدول. ومنه اللحد في القبر؛ لأنه أميل إلى ناحية منه. يقال: ألحد في دين الله، أي: حاد عنه وعدل. ولحد لغة فيه. وهذا يرجع إلى الذين قالوا: ﴿لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ وهم الذين ألحدوا في آياته ومالوا عن الحق فقالوا: ليس القرآن من عند الله، أو هو شعر أو سحر؛ فالآيات آيات القرآن. قال مجاهد: ﴿يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ أي عند تلاوة القرآن بالمكاء والتصدية واللغو والغناء(٣). وقال ابن عباس: هو تبديل الكلام ووضعه في غير موضعه(٤). وقال قتادة: ﴿يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ يكذبون في آياتنا(٥). وقال السدي: يعاندون ويشاقون(٦). وقال ابن زيد: يشركون ويكذبون(٧). والمعنى متقارب. وقال مقاتل: نزلت في أبي جهل(٨). وقيل: الآيات المعجزات، وهو يرجع إلى الأول فإن القرآن معجز. ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ﴾على وجهه وهو أبو جهل في قول ابن عباس وغيره. ﴿خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قيل: النبي ﷺ؛ قاله مقاتل. وقيل: عمار بن ياسر. وقيل: حمزة. وقيل: عمر بن

(١) صحيح إليه : الطبري (٢٤/ ١٢١) في تفسيره .
(٢) قراءة متواترة : تقريب النشر (ص١٤٥) .
(٣) صحيح إليه : الطبري (٢٤/ ١٢٢) في تفسيره .
(٤) ضعيف : السابق (٢٤/ ١٢٣) من طريق العوفيين .
(٥) ذكره السيوطي (٥/ ٦٨٨) في الدر وعزاه لعبد الرزّاق ، وعبد بن حميد .
(٦، ٧) صحيح إليهما : الطبري (٢٤/ ١٢٣) في تفسيره .
(٨) مرسل .

الخطاب. وقيل: أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي. وقيل: المؤمنون[١]. وقيل: إنها على العموم؛ فالذي يلقى في النار الكافر، والذي يأتي آمنا يوم القيامة المؤمن؛ قاله ابن بحر. ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾أمر تهديد؛ أي بعد ما علمتم أنهما لا يستويان فلا بد لكم من الجزاء. ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾وعيد بتهديد وتوعد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ الذكر ها هنا القرآن في قول الجميع؛ لأن فيه ذكر ما يحتاج إليه من الأحكام. والخبر محذوف تقديره هالكون أومعذبون. وقيل: الخبر ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤] واعترض قوله: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ﴾ ثم رجع إلى الذكر فقال: ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ﴾ ثم قال ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ﴾ [فصلت: ٤٤] والأول الاختيار؛ قال النحاس: عند النحويين جميعا فيما علمت. ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ أي عزيز على الله؛ قاله ابن عباس؛ وعنه: عزيز من عند الله. وقيل: كريم على الله[٢]. وقيل: ﴿عَزِيزٌ﴾ أي أعزه الله فلا يتطرق إليه باطل. وقيل: ينبغي أن يعز ويجل وألا يلغى فيه. وقيل: ﴿عَزِيزٌ﴾ من الشيطان أن يبدله؛ قاله السدي[٣]. مقاتل: منع من الشيطان والباطل. السدي: غير مخلوق فلا مثل له[٤]. وقال ابن عباس أيضا﴿عَزِيزٌ﴾ أي: ممتنع عن الناس أن يقولوا مثله[٥]. ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ أي لا يكذبه شيء مما أنزل الله من قبل ولا ينزل من بعده يبطله وينسخه؛ قاله الكلبي. وقال السدي وقتادة: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ﴾ يعني الشيطان ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ لا يستطيع أن يغير ولا يزيد ولا ينقص[٦]. وقال سعيد بن جبير: لا يأتيه التكذيب[٧] ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾. ابن جريج ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ﴾ فيما أخبر عما مضى ولا فيما أخبر عما يكون[٨]. وعن ابن عباس ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾من الله تعالى: ﴿وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ يريد من جبريل ﷺ[٩]، ولا من محمد ﷺ. ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾. ابن عباس: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ﴾في خلقه ﴿حَمِيدٍ﴾إليهم[١٠]. قتادة: ﴿حَكِيمٍ﴾ في أمره ﴿حَمِيدٍ﴾ إلى خلقه[١١].

قوله تعالى: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ﴾ أي: من الأذى والتكذيب ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ يعزي نبيه ويسليه ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ لك ولأصحابك ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ يريد لأعدائك وجيعا. وقيل: أي ما يقال لك من إخلاص العبادة لله إلا ما قد أوحي إلى من قبلك، ولا خلاف بين الشرائع فيما يتعلق بالتوحيد، وهو كقوله: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] أي: لم تدعهم إلا ما تدعو إليه جميع الأنبياء، فلا معنى لإنكارهم عليك. قيل: هو استفهام، أي: أي

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٧/ ١٧٦)، وزاد المسير (٥/ ٣٠٧) لابن الجوزي.
(٢) ضعيف: تفسير البغوي (٧/ ١٧٦) من طريق الكلبي وهو كذاب.
(٣) صحيح إليه: الطبري (٢٤/ ١٢٤) في تفسيره.
(٤) لم أره مسندًا.
(٥) زاد المسير (٥/ ٣٠٧) بلا عزو، وعنده أيضًا أثر الكلبي.
(٦) صحيح إليه: الطبري (٢٤/ ١٢٤) في تفسيره.
(٧) ضعيف: فيه يحيى بن يمان، وقد سبق تضعيفه، وانظر الطبري (٢٤/ ١٢٤) في تفسيره.
(٨) لم أره مسندًا.
(٩ - ١١) زاد المسير (٥/ ٣٠٧، ٣٠٨)لابن الجوزي، وانظر الأقوال كلها في: فتح القدير (٦/ ٣٥٩) للشوكاني.

شيء يقال لك ﴿إلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾. وقيل: ﴿إنَّ رَبَّكَ﴾ كلام مبتدأ وما قبله كلام تام إذا كان الخبر مضمـرا. وقيل: هو متصل بـ ﴿مَا يُقَالُ لَكَ﴾. ﴿إنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي إنما أمرت بالإنذار والتبشير.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا﴾ أي بلغة غير العرب ﴿لَّقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ أي: بينت بلغتنا فإننا عرب لا نفهم الأعجمية. فبين أنه أنزل بلسانهم ليتقرر به معنى الإعجاز؛ إذ هم أعلم الناس بأنواع الكلام نظما ونثرا. وإذا عجزوا عن مـعارضته كان من أدل الدليل على أنه من عند الله، ولو كان بلسان العجم لقالوا لا علم لنا بهذا اللسان.

الثانية: وإذا [illegible] هذا فه[illegible] [illegible] قرآن عربي، وأنه نزل بلغة العرب، وأنه ليس أعجميا، وأنه إذا نقل [illegible] [illegible] غيرها [illegible]

الثالثة: قوله تعالى: ﴿أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي: ﴿أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ بهمزتين مخففتين(١)، والعجمي الذي ليس من العرب كان فصيحـا أوغير فصيح، والأعجمي الذي لا يفصح كان من العرب أو من العجم، فـالأعجم ضد الفصيح وهو الذي لا يبين كلامه. ويقال لـلحيوان غير الناطق أعجم، ومنه «صلاة النهـار عجماء»(٢) أي لا يجهر فـيها بالقراءة فكانت النسـبة إلى الأعجم آكد، لأن الرجل العـجمي الذي ليس من العرب قد يكون فـصيحا بالعـربية، والعربي قد يكـون غير فصـيح؛ فالنسبة إلى الأعـجمي آكد في البيـان. والمعنى أقرآن أعجـمي، ونبي عربي؟ وهو استفـهام إنكار. وقرأ الحسن وأبو العالية ونصر بن عاصم والمغيرة وهشام عن ابن عامر: «أعجمي» بهمزة واحدة على الخبر. والمعنى: ﴿لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ فكان منها عـربي يفهمه العـرب، وأعجمي يفهمـه العجم. وروى سعيد بن جبيـر قال: قالت قريش: لولا أنزل القرآن أعجميا وعربيا فـيكون بعض آياته عجميا وبعض آياته عربـيا فنزلت الآية (٣). وأنزل في القـرآن من كل لغة فـمنه «السـجيل» وهي فـارسـيـة

(١) حصر ابن الجزري رحمه الله في تقريب النشر ص ١٦٩ القراءات المتواترة في قوله تعالى: ﴿أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ فقال: قرأه بالخبـر قنبل وهشام بخلاف عنهـما وكذلك رويس من طريق أبي الطيب، والبـاقون بالاستفـهام، وحقق منهم الثانيـة حمزة والكسـائي، وخلف، وأبو بكر، وروح، والباقـون منهم بين بين والأزرق على أصله في البدل وهم على أصولهم في الفصل إلا أن ابن ذكوان نص له جمهور المغاربة على الفصل.

(٢) ذكره العـجلوني في كشف الخفـاء (٢/ ٢٨) رقم(١٦٠٩) وقال: قال فـي اللآلئ كالمقاصـد: قال النووي في شرح المـهذب في الكلام على الجـهر بالقـراءة إنه باطل لا أصل له. وقـال الدارقطني: لم يرو عن النبي ﷺ، وإنما هو من قول بعض الفقهاء راجع: كشف الخفاء ففيه بحث قيم حول هذا الحديث.

(٣) مرسل: ورواه الطبري (٢٤/ ١٢٦) في تفسيره بعدة أسانيد، وانظر: لباب النقول (ص٣٥٧) للسيوطي.

obeikandl.com

وأصلها: سنك كيل؛ أي طين وحجر، ومنه «الفردوس» رومية وكذلك «القسطاس»، وقرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وابن ذكوان وحفص على الاستفهام، إلا أنهم لينوا الهمزة على أصولهم. والقراءة الصحيحة قراءة الاستفهام. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ أعلم الله أن القرآن هدى وشفاء لكل من آمن به من الشك والريب والأوجاع. ﴿وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ أي: صمم عن سماع القرآن. ولهذا تواصوا باللغو فيه. ونظير هذه الآية ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢] وقد مضى مستوفى. وقراءة العامة ﴿عَمًى﴾على المصدر. وقرأ ابن عباس وعبدالله بن الزبير وعمرو بن العاص ومعاوية وسليمان بن قتة « وهو عليهم عمٍ بكسر الميم أي لا يتبين لهم. واختار أبو عبيد القراءة الأولى؛ لإجماع الناس فيها؛ ولقوله أولا: ﴿هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ولوكان هاد وشاف لكان الكسر في ﴿عَمًى﴾أجود؛ ليكون نعتا مثلهما؛ تقديره ﴿وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾في ترك قبوله بمنزلة من في آذانهم ﴿وَقْرٌ﴾. ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾يعني القرآن ﴿عَلَيْهِمْ﴾ذو عمى، لأنهم لا يفقهون فحذف المضاف. وقيل المعنى والوقر عليهم عمى. ﴿أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ يقال: ذلك لمن لا يفهم من التمثيل. وحكى أهل اللغة أنه يقال للذي يفهم: أنت تسمع من قريب. ويقال للذي لا يفهم: أنت تنادى من بعيد. أي كأنه ينادى من موضع بعيد منه فهو لا يسمع النداء ولا يفهمه. وقال الضحاك ﴿يُنَادَوْنَ﴾ يوم القيامة بأقبح أسمائهم[1] ﴿مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ فيكون ذلك أشد لتوبيخهم وفضيحتهم. وقيل: أي من لم يتدبر القرآن صار كالأعمى الأصم، فهو ينادى من مكان بعيد فينقطع صوت المنادي عنه وهو لم يسمع. وقال علي رضي الله عنه ومجاهد: أي بعيد من قلوبهم[2]. وفي التفسير: كأنما ينادون من السماء فلا يسمعون. وحكى معناه النقاش.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ۝ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة ﴿فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾ أي: آمن به قوم وكذب به قوم. والكناية ترجع إلى الكتاب، وهو تسلية للنبي ﷺ؛ أي: لا يحزنك اختلاف قومك في كتابك، فقد اختلف من قبلهم في كتابهم. وقيل: الكناية ترجع إلى موسى. ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: في إمهالهم. ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي بتعجيل العذاب. ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ من القرآن ﴿مُرِيبٍ﴾ أي شديد الريبة. وقد تقدم. وقال الكلبي في هذه الآية: لولا أن الله أخر عذاب هذه الأمة إلى يوم القيامة لآتاهم العذاب كما فعل بغيرهم من الأمم. وقيل: تأخير العذاب لما يخرج من أصلابهم من المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ شرط وجوابه ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾. والله جل وعز مستغن عن طاعة العباد، فمن أطاع فالثواب له، ومن أساء فالعقاب عليه. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾

---

(١) حسن: الطبري (٢٤/ ١٢٨) في تفسيره.

(٢) ضعيف: فيه ابن جريج، عن مجاهد منقطعًا، وابن جريج عن بعض أصحابه وفيه جهالة، السابق (٢٤/ ١٢٧).

نفى الظلم عن نفسه جل وعز قليله وكثيره، وإذا انتفت المبالغة انتفى غيرها، دليله قوله الحق ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ [يونس: ٤٤] وروى العدول الثقات، والأئمة الأثبات، عن الزاهد العدل، عن أمين الأرض، عن أمين السماء، عن الرب جل جلاله: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا...» الحديث[1]. وأيضا فهو الحكيم المالك، وما يفعله المالك في ملكه لا اعتراض عليه؛ إذ له التصرف في ملكه بما يريد.

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي: حين وقتها. وذلك أنهم قالوا: يا محمد إن كنت نبيا فخبرنا متى قيام الساعة فنزلت: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ﴾ ﴿مِن﴾ زائدة أي وما تخرج ثمرة. ﴿مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ أي من أوعيتها، فالأكمام أوعية الثمرة، واحدها كمة وهي كل ظرف لمال أو غيره؛ ولذلك سمي قشر الطلع أعني كفراه الذي ينشق عن الثمرة كمة؛ قال ابن عباس: الكمة الكفرى قبل أن تنشق، فإذا انشقت فليست بكمة. وسيأتي لهذا مزيد بيان في سورة «الرحمن». وقرأ نافع وابن عامر وحفص ﴿مِن ثَمَرَاتٍ﴾ على الجمع. الباقون «ثمرة» على التوحيد[2] والمراد الجمع، لقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ﴾ والمراد الجمع، يقول: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ كما يرد إليه علم الثمار والنتاج. ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ أي: ينادي الله المشركين ﴿أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ الذين زعمتم في الدنيا أنها آلهة تشفع. ﴿قَالُوا﴾ يعني الأصنام. وقيل: المشركون. ويحتمل أن يريدهم جميعا العابد والمعبود ﴿آذَنَّاكَ﴾ أسمعناك وأعلمناك. يقال: آذن يؤذن: إذا أعلم، قال:

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

قوله تعالى: ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ أي نعلمك ما منا أحد يشهد بأن لك شريكا، لما عاينوا القيامة تبرؤوا من الأصنام وتبرأت الأصنام منهم كما تقدم في غير موضع. ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ أي: بطل عنهم ﴿مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿وَظَنُّوا﴾ أي: أيقنوا وعلموا ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ أي: فرار عن النار. و﴿مَا﴾ هنا حرف وليس باسم؛ فلذلك لم يعمل فيه الظن وجعل الفعل ملغى؛ تقديره: وظنوا أنهم ما لهم محيص ولا مهرب. يقال: حَاص يَحيص حَيْصا ومَحِيصا: إذا هرب. وقيل: إن الظن هنا الذي هو أغلب الرأي، لا يشكون في أنهم أصحاب النار ولكن يطمعون أن يخرجوا منها. وليس يبعد أن يكون لهم ظن ورجاء إلى أن يؤيسوا.

---

(١) صحيح: وقد سبق، والزاهد: أبو ذر، وأمين الأرض: النبي ﷺ، وأمين السماء: جبريل ـ عليه السلام.
(٢) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص ١٧٠).

﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿لا يَسْأَمُ الإنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ أي: لا يمل من دعائه بالخير. والخير هنا المال والصحة والسلطان والعز. قال السدي: والإنسان ها هنا يراد به الكافر. وقيل: الوليد بن المغيرة. وقيل: عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية بن خلف. وفي قراءة عبد الله «لا يسأم الإنسان من دعاء المال». ﴿وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾الفقر والمرض ﴿قَنُوطٌ﴾من روح الله ﴿قَنُوطٌ﴾من رحمته. وقيل: «يؤوس» من إجابة الدعاء ﴿قَنُوطٌ﴾ بسوء الظن بربه. وقيل: «يؤوس» أي: يئس من زوال ما به من المكروه ﴿قَنُوطٌ﴾ أي: يظن أنه يدوم؛ والمعنى متقارب.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا﴾ عاقبة ورخاء وغنى ﴿مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾ ضر وسقم وشدة وفقر. ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ أي: هذا شيء استحقه على الله لرضاه بعملي، فيرى النعمة حتما واجبا على الله تعالى، ولم يعلم أنه ابتلاه بالنعمة والمحنة؛ ليتبين شكره وصبره. وقال ابن عباس[1] ﴿هَذَا لِي﴾ أي: هذا من عندي. ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ أي الجنة، واللام للتأكيد. يتمنى الأماني بلا عمل. قال الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب: للكافر أمنيتان: أما في الدنيا فيقول: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾، وأما في الآخرة فيقول: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧] و﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: ٤٠]. ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ أي: لنجزينهم. قسم أقسم الله عليه. ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ أي: شديد.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإنسَانِ﴾ يريد الكافر. وقال ابن عباس: يريد عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف أعرضوا عن الإسلام وتباعدوا عنه. ﴿أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾ أي: ترفع عن الانقياد إلى الحق وتكبر على أنبياء الله. وقيل: ﴿وَنَأَىٰ﴾ تباعد. يقال: نأيته ونأيت عنه نأيا بمعنى تباعدت عنه، وأنأيته فانتأى: أبعدته فبعد، وتناؤوا تباعدوا، والمنتأى الموضع البعيد؛ قال النابغة:

فإنَّكَ كاللَّيْلِ الَّذِي هُو مُدْرِكي وإنْ خِلْتُ أنَّ المُنتَأى: عَنْك واسعُ

وقرأ يزيد بن القعقاع: «وناء بجانبه» بالألف قبل الهمزة[2]. فيجوز أن يكون من «ناء»: إذا نهض. ويجوز أن يكون على قلب الهمزة بمعنى الأول. ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ أي: أصابه المكروه ﴿فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾أي: كثير، والعرب تستعمل الطول والعرض في الكثرة. يقال: أطال فلان في الكلام وأعرض في الدعاء: إذا أكثر. وقال ابن عباس: ﴿فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ فذو تضرع واستغاثة. والكافر

---

(١) ورواه الطبري (٢٥/ ٥) مسندًا عن مجاهد بسند صحيح.

(٢) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص١٣٤).

يعرف ربه في البلاء ولا يعرفه في الرخاء[١].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أي: قل لهم يا محمد ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ يا معشر المشركين ﴿إِن كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾أي: فأي الناس أضل، أي: لا أحد أضل منكم لفرط شقاقكم وعداوتكم. وقيل: قوله ﴿إن كان من عند الله﴾يرجع إلى الكتاب المذكور في قوله: ﴿آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ٥٣] والأول أظهر وهو قول ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا﴾ أي علامات وحدانيتنا وقدرتنا ﴿فِي الآفَاقِ﴾ يعني خراب منازل الأمم الخالية﴿وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ بالبلايا والأمراض. وقال ابن زيد ﴿فِي الآفَاقِ﴾ آيات السماء «﴿وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ حوادث الأرض. وقال مجاهد «في الآفاق» فتح القرى؛ فيسر الله عز وجل لرسوله ﷺ وللخلفاء من بعده وأنصار دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما، وفي ناحية المغرب خصوصا من الفتوح التي لم يتيسر أمثالها لأحد من خلفاء الأرض قبلهم، ومن الإظهار على الجبابرة والأكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم، وتسليط ضعفائهم على أقويائهم، وإجرائه على أيديهم أمورا خارجة عن المعهود خارقة للعادات ﴿وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ فتح مكة. وهذا اختيار الطبري؛ وقاله المنهال بن عمرو والسدي[٢]. وقال قتادة والضحاك: ﴿فِي الآفَاقِ﴾ وقائع الله في الأمم ﴿وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ يوم بدر[٣]. وقال عطاء وابن زيد أيضا: ﴿فِي الآفَاقِ﴾ يعني أقطار السموات والأرض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والأمطار والرعد والبرق والصواعق والنبات والأشجار والجبال والبحار وغيرها[٤]. وفي الصحاح: الآفاق النواحي، واحدها أفق ،وأفق مثل عسر وعسر، ورجل أفقي بفتح الهمزة والفاء: إذا كان من آفاق الأرض. حكاه أبو نصر. وبعضهم يقول: أفقي بضمها وهو القياس. وأنشد غير الجوهري:

أخَذْنَا بآفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمُ لنا قَمَراها والنُّجُومُ الطَّوالعُ

﴿وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾من لطيف الصنعة وبديع الحكمة حتى سبيل الغائط والبول؛ فإن الرجل يشرب ويأكل من مكان واحد ويتميز ذلك من مكانين، وبديع صنعة الله وحكمته في عينيه اللتين هما قطرة ماء ينظر بهما من السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام[٥]، وفي أذنيه اللتين يفرق بهما بين الأصوات المختلفة. وغير ذلك من بديع حكمة الله فيه. وقيل: ﴿وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾من كونهم نطفا إلى

(١) الماوردي (٥/ ١٨٩) في تفسيره غير مسند .
(٢) صحيح إلى السدي : الطبرى (٢٥/ ٦) في تفسيره.
(٣) فتح القدير (٦/ ٣٦٥) للشوكاني غير سند .
(٤) صحيح إلى ابن زيد : الطبري(٢٥/٦) في تفسيره .
(٥) لا دليل عليه ، والله أعلم .

غير ذلك من انتقال أحـوالهم كما تقدم في «المؤمنون» [١] بيانه. وقيل: المعنى سيـرون ما أخبرهم به النبي ﷺ من الفتن وأخبار الغيب ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه القرآن. الثاني: الإسلام جاءهم به الرسـول ودعاهم إليه. الثالث: أن ما يريهم الله ويفعل من ذلك هو الحق. الرابع: أن محمدا ﷺ هو الرسول الحق. ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾في موضع رفع بأنه فاعل ﴿يَكْفِ﴾و﴿أَنَّهُ﴾بدل من «ربك» فهو رفع إن قدرته بدلا على الموضع، وجر «إن « قـدرته بدلا على اللفظ. ويجوز أن يكون نصـبا بتقـدير حذف اللام، والمعنى: أو لم يكفهم ربك بما دلهم عليـه من توحيده؛ لأنه ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾وإذا شهده جـازى عليه. وقيل: المعنى: ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾في معاقبـته الكفار. وقيل: المعنى: ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ يا محمد أنه شاهد على أعمال الكفار. وقيل: ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾شاهدا على أن القرآن من عند الله. وقيل: ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مما يفعله العبـد ﴿ شهيد﴾والشهيد بمعنى العـالم؛ أو هو من الشهادة التي هي الحـضور ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ﴾ أي في شك ﴿مِن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ في الآخـرة. وقال السـدي: أي من البعث[٢]. ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ أي أحاط علمـه بكل شيء[٣]. قـاله السدي. وقـال الكلبي: أحاطت قدرته بكل شيء[٤]. وقال الخطابي: هو الذي أحاطت قدرته بجميع خلقه، وهو الذي أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا. وهذا الاسم أكـثر ما يجيء في معرض الوعيد، وحـقيقته الإحاطة بكل شيء، واستئـصال المحاط به، وأصله محيط نقلت حركة اليـاء إلى الحاء فسكنت. يقال منه: أحَاطَ يَحِيط إِحَاطة وحَيْطَة؛ ومن ذلك حائط الدار، يحوطها أهلها. وأحاطت الخيل بفلان: إذا أخذ مأخذا حاصرا من كل جهة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ [الكهف: ٤٢] ،والله أعلم بصواب ذلك.

تم الجزء الخامس عشر من تفسير القرطبي

يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء السادس عشر وأوله سورة (ص)

---

(١) عند الآية (١٢) .

(٢ ـ ٤) انظر النكت والعيون (٥/ ١٩٠) للماوردي بغير إسناد .

ورواه الطبري (٢٥/ ٧) في تفسيره مسندًا عن السُّدي ولفظه (في شك من لقاء ربهم).